البلاغة المعاصرة بين الإقناع والأسلوب
محسّنات الدلالة (المجازات) أنموذجا

أ. حسين خالفي
جامعة بجاية

Abstract: the rhetoric of figures under the two new rhetoric seem motto between two main directions, namely: logical-argumentative direction, aimed persuasion, the other is poetic and ésthitique tropes. but may speak of other functions, lunguistique for example, which has been Developed by the French rhetoric, which can covers two functions: stylistic and argumentative at a time. but above all notice that J.M.Klinkenburg developed a tropological rhetoric is both stylistic and argumentative force.

-توطئة تاريخية: لقد عرف مصطلح البلاغة المعاصرة اتساعا وتفرعا، لم يعرفه فيما مضى، بطريقة تدفعنا للتساؤل عن مفهوم هذا المصطلح، خاصة وأن ما يصطلح عليه اليوم بالبلاغة الجديدة، لا يمثل لاتجاه واحد فقط بل لعدة اتجاهات، وبالتالي وجب الحديث عن بلاغات جديدة، أو على الأقل عن بلاغتين جديدتين. لذا يجب الحديث بداية عن مصنفين يحملان في عنوانيهما مصطلح بلاغة مصحوبة بوصف الجديدة، ويرتبط هذا الوصف (البلاغة الجديدة) بفكرة إعادة الاعتبار للبلاغة، التي اختفت بشكل تدريجي عن المصنفات الأوروبية لفترة طويلة، وتم إعادتها وبعثها مجددا، لكن بتقاليد جديدة تتجاوز البلاغة الأرسطية القديمة. ويتعلق الأمر بكتاب: **« مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة» لشايم بيرلمان ولوسي أولبرايت تيتيكا** (1958)، وكتاب: **«البلاغة العامة» لمجموعة مو** (أو ليبج).

يبني المصنف الأول تحليله للبلاغة وفقا للاستعمال الحجاجي لآلياتها المختلفة، وهذا انطلاقا من الوسائل المنطقية، فبالنسبة **لبيرلمان**: البلاغة هي معادل للحجاج. لهذا فقد أراد لكتابه هذا أن يتجه اتجاها فلسفيا، مستمدا من تنظيرات **أرسطو** البلاغية والمنطقية. وهذا التعريف ينظر إليه كامتداد لمفهوم الخطابة عند أرسطو الذي يعرفها بأنها: **« فن استخلاص من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتويها» أو مثل: «القدرة على كشف نظري لما يمكن أن يكون في كل حالة خالصا للإقناع».** دعا **حاييم بيرلمان** و**لوسي أولبرايت تيتيكا** في عام 1950 إلى "بلاغة جديدة" توفر وسائل تفكير في الميدان الواسع للحجاج المنطقي عن طريق التفكير الاستدلالي الذي يدرس المنطق الصوري.

أما المصنف الثاني فعلى العكس من هذا، فقد اتخذ هدفه التحليلي لصور الأسلوب التي تعتمدها اللغة الشعرية، أي أنها كرست بحثها للأدبية أو علم الأدب، لتصل إلى أسلوبية بتقاليد بنيوية، دعى أعضاء فريق مو إلى بلاغة عامة، تستند على إنجازات علم اللغة وعموما على السيميائية لإعطاء نظرية حقيقية لإنتاج الآثار "الأدبية" (بالمعنى الواسع جدا) عن طريق اللغة "التصويرية".

كما يمكن الحديث عن اتجاه ثالث، يمكن أن يشكل اتجاها لعدة تفرعات، عرف في فرنسا في ستينيات القرن الماضي ويمتد تأثيره إلى يومنا هذا، يتمثل في اكتشافات النقد الجديد والسيميولوجيا في فرنسا لبلاغيي القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثل: **دومارسي، لامي، فونتانيي**..فأعادوا بحوثهم البلاغية للواجهة النقدية، مثل **رولان بارث «بلاغة الصورة» (1964)** وكتاب: **«قراءة جديدة للبلاغة القديمة»، وجيرار جينات: «البلاغة وفضاء اللغة» (1964)**، كما أنه ساهم ببعث وتقديم كتاب **«صور الخطاب» لفونتانيي (1977)**، كما ساهم **تودوروف** أيضا من خلال كتابه: **«الأدب والدلالة» (1967)**...وقد أسهم هؤلاء في إعادة بعث الأبحاث البلاغية، وإعادة قراءتها

قراءة بنيوية أحيانا وقراءة تاريخية أحيانا أخرى، وهي فترة ضرورية سبقت فترة التحليل النسقي لظواهر البلاغة، والتي ساهم فيها العديد من الباحثين، مثل **فرانسوا مورو** بكتاب:**«البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية» وهنريش بليث** في كتاب: **«البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص»(1981).** وتشكل أبحاث اللساني الفرنسي **مارك بونوم** اليوم التطور الطبيعي لمختلف الاتجاهات البلاغية سواء البنيوية أو السيميائية أو التداولية، نظرا لتشربه بمختلف هذه الأنساق، مع تركيز كبير على النسق اللساني، ليبسط نظريته حول المحسّنات البيانية مؤلفا بين المنحيين الاقناعي والأسلوبي، ومن مؤلفاته نذكر: **« المحسّنات المفاتيح للخطاب»**، كما يتجلى في بعض مؤلفاته الأخرى، مثل: **« لسانيات الكناية» و«حجاجية الإشهار»**، بالإضافة إلى بعض المقالات التي لم تخرج عن الإطار اللساني للمحسّنات، ومنها نذكر مقاليه: **«إشكالية المجازات في اللسانيات الفرنسية في القرن العشرين»** ومقاله: **«بلاغة المحسّنات بين الشكلية والتلفظية»** [3].

وفقا لهذا تبدو بلاغة المحسّنات الجديدة وفقا لهذا موزعة بين اتجاهين رئيسيين هما: الاتجاه المنطقي الحجاجي، الذي يبحث ويستهدف الإقناع حيث تشكل المحسّنات أحد أهم وسائله، والمنحى الجمالي الذي يبحث في الوظيفة الشعرية والجمالية لمحسّنات اللغة والخطاب. [4] كما يمكننا الحديث عن اتجاه ثالث يوفق بين الاتجاهين، يتتبع التحولات التاريخية لوظيفية محسّنات البلاغة، أو يحللها نسقيا وفقا للوظيفتين الاقناعية والشعرية الجمالية في نفس الوقت، ذلك لاقتناعه بالقوة الحجاجية والشعرية للمحسّنات.

وانطلاقا من هذا يحق لنا التساؤل عن: **ماهية البلاغة والمحسّنات، وهل تستهدف الحجاجية أم الأسلوبية؟ وهل يمكننا إيجاد أرضية مشتركة بين الحجاجية والأسلوبية؟**

1 -**تحديد وتصنيف المحسّنات:** هناك العديد من التصنيفات المعاصرة للمحسّنات، منها التصنيف الشكلاني **لرومان جاكبسون،** الذي خفض المجازات إلى قسمين رئيسيين، هما: الكناية والاستعارة، والتي أصبحت قوالب عامة لاشتغال ووظيفية اللغة، وهذا انطلاقا من التفريق بين المحور التراتبي والكناية وبين المحور النظمي والاستعارة. وقد كانت أبحاث جاكوبسون ذات تأثير كبير، حيث: أ) تم تعريف الكناية والاستعارة على أسس تجريبية، وبدأ معالجتها بأكثر علمية، من خلال ثنائية التجاور/ التشابه. ويمكننا في هذا السياق ذكر مساهمة هنري: "الكناية والاستعارة"(1971)، ولوجارن: "علم دلالة الاستعارة والكناية"(1973) .

ب) ساهمت الكناية والاستعارة بمفهوم جاكبسون في تطوير لسانيات النص، سواء تعلق الأمر بالشعر، والذي يرتكز على القطب الاستعاري (انظر تحليل قصيدة "القطط" لبودلير لجاكوبسون نفسه وليفي شتراوس) (1962)، أو في النثر السردي، الذي يتوقف على التراتبية الكنائية. يمكننا ذكر العديد من التلميحات إليها في أعمال : بريمون (1970)، قريماس (1970) أو آدم (1976).

ج) تسمح معادلة جاكبسون المزدوجة: الكناية = التجاور، الاستعارة = التشابه بتمديد اللّسانيات إلى مجالات سيميائية متنوعة: الإشهار مع بارت (1966)، الموسيقى مع روسلاتو (1974)...[5]

ولكن اقتصار نموذج جاكبسون على المحسّنيين الدلاليين الاستعارة والكناية فقط، أدى إلى تجاوزه من خلال **النموذج البنيوي،** الذي يبدو أكثر تواترا وأكثر صرامة وأكثر إلماما من النموذج الشكلاني السابق، إنه يستند على مختلف المكونات الخطابية التي تتأثر بالمحسّنات، وبالنسبة لأغلبية المصنفات البلاغية والتصنيفات المعاصرة، وعلى رأسها التصنيف المقدم من طرف جماعة مو في كتابهم الأول: **البلاغة العامة** (1970)، وهو التصنيف الذي

يغطي جميع مستويات التحول والانزياح، حيث حددوا أربع مكونات خطابية، هي:

1 -شكل الكلمة.
2 -بناء الكلمات في الملفوظ.
3 -معنى الكلمات.
4 -العلاقة بين الكلمات والواقع.[شم]

تشكل هذه المكونات مبدأ تقسيم هذا الكتاب، الذي يهتم كثيرا بوظيفية المحسّنات ككل، وليس المجازات فقط، أي المحسّنات المرتبطة بمختلف مستويات اللغة الصوتية، الصرفية، الدلالية، والمرجعية، لهذا فهم يقسمون المحسّنات إلى أربع أصناف، هي:

أ - المحسّنات الصرفية a base morphologique: تحول هذه المحسّنات شكل الكلمات في الخطاب، يمكن معاينتها بسهولة، وتنشأ عن طريق استعمالات مختلفة مثل: التحويل Permutation، الحذف Suppression، والوصل Adjonction، وهذا يتم على مستوى الحروف (والأصوات في الكلام الشفوي)، وكذا في المقاطع الصوتية أو في الكلمة كلها. تتوافق هذه المحسّنات في جزء كبير مع محسّنات الإلقاء (القول figures de dictions) في البلاغة التقليدية وبالتحويلات (الصيرورة) الصوتية Métaplasmes (في اليونانية تعني Métaplasme: تغيير في الشكل).[م]

ب - المحسّنات التركيبية a base syntaxique: تتعلق هذه المحسّنات بتنظيم الكلمات في الخطاب. وبتنويع التوسيع تلعب هذه المحسّنات على تنضيد الملفوظات عن طريق عمليات منظمة: **الانتقال Déplacement**، **الانقطاع Rupture**، **الإسهاب Amplification**، **التعارض Opposition**. وهذه

المحسّنات هي استمرارية لمحسّنات البناء في البلاغة التقليدية، والمحسّنات التركيبية Métataxes (تعني في اليونانية: تغيير الهيئة).

ج - **محسّنات الدلالة a base sémantique :** تؤثر هذه المحسّنات أساسا في معنى الكلمات في الخطاب، وهي تخلق تحويلا دلاليا في الملفوظات، وتركز على ثلاث إجراءات هي: **التجاور** ويشمل **الكناية، المجاز المرسل والتلميح، التماثل** ويشمل **الاستعارة والتشبيه، والانشطار(المضاعفة Dédoublement)** ويشمل **الرمز والتمثيل**. تتوافق أغلب هذه المحسّنات مع المجازات tropes في التقاليد البلاغية، واستعيدت ثانية من خلال صور تحويل المعنى Métasémèmes (وهو مصطلح مستلهم من الإغريق يعني: تغيير المعنى). كما تحدث البلاغي الأمريكي **كينيث بروك** عن أربع صور بلاغية أساسية، تم وضعها في مربع سيميائي من طرف **أ.ج.غريماس**، وفق ما يلي:

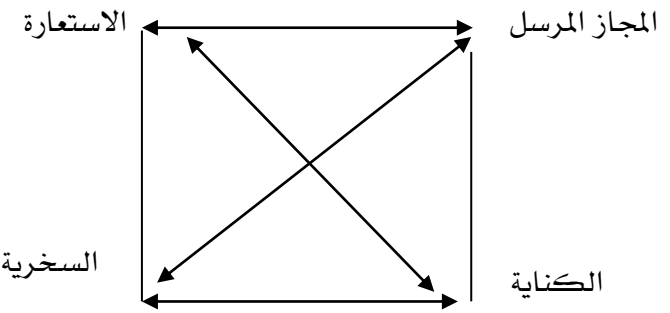

يضع **ك.بروك** مثلما هو ملاحظ صورة من الصور المرجعية (السخرية) مع صور تحويل المعنى (المجازات: الكناية، المجاز المرسل، والاستعارة).

د - المحسّنات المرجعية a base référentielle : تحمل هذه المحسّنات قبل أي شيء على العلاقات بين الكلام والواقع (أو المرجع)، يمكن ملاحظتها في الملفوظات وتعزل بصعوبة عن العناصر الشكلية، ويشار إليها عن طريق الانزياحات التي تقدمها بين الخطاب وسياقه، إما عن طريق فوق -/ تحت التعريف، مثل: **المبالغة والتورية**، وإما عن طريق التنافر مثل: **المفارقة والسخرية**. تشمل هذه المحسّنات جزءا كبيرا من محسّنات الفكر في التقاليد البلاغية وتسمى محسّنات المنطق Métalogisme عند مجموعة مو.□□

يتوخى هذا التصنيف الجانب الشكلي والبنيوي للمحسّنات ككل سواء المجازية أو غير المجازية، ويمكن من خلاله تحديد ودراسة المحسّنات من جانب أسلوبي جمالي أو من جانب إقناعي تداولي، ما يجعل هذا التصنيف مشتركا بين البلاغتين. رغم وجود تصنيفات أخرى تتوخى المعيار التداولي، مثل التصنيف الذي قدمه **تارديف** في القرن 16م، حيث قسم المحسّنات حسب دورها في الخطابات الاقناعية: فالاستهلال والتقديم الذي يتوسل **التلطيف**. أما تقديم الأطروحة فيتوسل **المقارنة (التشبيه)** على وجه الخصوص. في ين أن تفنيد أطروحة الخصم فهو ميدان **السخرية**. بر□

ويحدد **ك. بلانتان** ثلاثة معان لكلمة محسّن: تستخدم كلمة محسّن في القياس المنطقي **(محسّنات القياس المنطقي)**، كما يستخدم في نظرية المغالطات **(محسّنات الخطاب)**، وفي البلاغة **(محسّنات الخطاب، محسّنات الأسلوب)**، تستخدم عبارة "محسّن الخطاب" بمعان مسبقة مختلفة في البلاغة وفي نظرية المغالطات. والملاحظ أن الدراسات الحجاجية تستخدم هذه المعاني الثلاثة. تختلف المحسّنات (محسّنات البلاغة، محسّنات الأسلوب، محسّنات الخطاب) في طريقة الدلالة، التي تمنح الخطابات نعومة وحيوية أكثر، كما تمنحها التألق والطاقة.

والعبارة التصويرية (المجازية) هي كجزيرة يكتشفها المتلقي، ويعزلها عندما يكون أثر المعنى المنتج لا يقتصر فقط على التزام المعنى المعجمي والنحوي. [12]

نخلص في الأخير أنه قد كانت البلاغة موضوع مؤسستين تجديديتن: أولى هذه "البلاغتين الجديدتين" هي كما يسميها **كليكنبورغ** بـ: "بلاغة الإقناع"، وهي التي تدرس الحجاج، وهي البلاغة الجديدة **لبيرلمان وتيتيكا**، أما الثانية فهي " بلاغة المحسّنات"، وهي بالتحديد البلاغة العامة لمجموعة مو.

ما هو الفرق بين البلاغتين فيما يتصل بدراسة المحسّنات؟ وهل هناك نقاط مشتركة بينهما؟

3 -الاختلاف بين البلاغتين: رغم اختلاف الاتجاهين البلاغيين الجديدين في تناولهما لنظرية المحسّنات البيانية، وتشتتهما بين الأسلوب والحجاج، إلا أن **ج.م. كليكنبورغ** يقرب في أبحاثه بين الاتجاهين الكبيرين من خلال بحثه عن نقاط اشتراك بينهما، وهذا من منطلق الدفاع عن الأطروحة القائلة: «إن صور البلاغة _خصوصا **المجازات tropes**_ تلعب دورا حجاجيا، وليست مجرد تزيين للخطاب، وهذا بإعادة صياغة هذه الأطروحة من خلال دحض الفكرة القديمة، التي تميز بين بلاغة الصور وبلاغة الحجاج. ومن الواضح أنه ضروري الابتداء بالتذكير بهذه التفرقة قبل تقديم وصف جديد للصور_الوصف التداولي تحديدا_ وهو ما يسمح لنا في الخطوة الموالية بمعالجة مسألة الصور ودورها الحجاجي». [13]

وقبل أن يتناول نقاط الاتفاق بين البلاغتين، يتحدث عن مجمل الاختلافات بينهما، ويكمن التعارض والاختلاف بين بلاغة الحجاج وبلاغة الصور في: أولا: اختلاف الموضوعات التي تعالجها، وثانيا: انطلاقا من نظامها الابستيمي (المعرفي). تكرس البلاغة الحجاجية لدراسة آليات الخطاب الاجتماعي العام، وليس الأدبي -الاستثنائي فقط، ومدى فعاليته عمليا، وهي

بالتالي تتقاطع -مثلما هو واضح -بشكل واسع مع التداولية، طالما تبحث في الفعالية الكلامية بين شركاء العملية التواصلية. وترتبط في نشأتها بفلاسفة القانون، طامحة في شغل الأرضية التي أخلاها المنطق، وهذا ما جعلها تصبح صورية إلى درجة فقدانها التدريجي للعلاقة مع الواقع العملي، فلكي تكون مقنعة لا يعني فقط أن تخصم وتحصي، ولكن أن تكون حجاجية، وعليه فالحقل التطبيقي لهذه البلاغة الجديدة كان بداية في الدعاية السياسية والتجارية والمناقشات القانونية وفي المجادلات (المحاورات) الفلسفية. أما البلاغة الجديدة الثانية فقد تطورت على يد اللسانيين البنيويين، الذين دفعهم البحث في البنى اللغوية، ثم أصبح مخصوصا على دراسة الأدب، وهي الأبحاث التي أدت إلى بروز الشعرية المعاصرة، وهي الشعرية التي صادفت في طريقها الكثير من المفاهيم التي عالجتها البلاغة القديمة، خاصة المفاهيم المتعلقة بالمحسّنات والمجازات.[سم]

أما بالنظر إلى وضعهما الابستيمي (المعرفي) كمعيار للتفرقة بينهما فنجد: الأولى ذات مهمة اجتماعية، وتشتغل على موضوعات عامة ومشتركة بين فئات اجتماعية مختلفة، وبالتالي فهي مهتمة بالمتماثل، وتخرج من مجال اهتمامها ما يمكن عده استثنائيا وتهتم فقط بالعادي. في حين أن البلاغة الثانية تهتم بما يبدو أولا أنه استثنائي وخاص: الأدب والشعر، الذي تختص به فئة دون أخرى، والأدب كثيرا ما يوصف كمجال للتمزق، وتوصف الصور بأنها انزياح وعدول مقارنة بصيغ التعبير العادية، وإذا كانت هذه البلاغة اقصائية فهي تقصي الكلام العادي.[شم]

4 -الاتفاق بين البلاغتين: أما بالنسبة للنقاط المشتركة بين البلاغتين فيمكن أن نلخصها فيما يأتي:

بداية: كلاهما يدرس الخطاب وبالتالي طرق الكلام، إلى درجة الارتباط بالملفوظ لاقتفاء آثار التلفظ، فهما إذن لا تنفصلان عن المقاربة التداولية[17]. والجدير بالذكر أن البلاغتين الجديدتين تتأسسان على افتراض وجود كفاءة موسوعية مشتركة بين شركاء التبادل (المتكلم والمخاطب)، وكفاءة كل منهما، أحيانا في إنتاج وإدراك الصور أسلوبيا، وأحيانا أخرى في الإقناع□□ والاقتناع (أو الفهم والإفهام، التبيين والتبين، حسب الجاحظ).

ثانيا: كلاهما يؤسس على وجود تنوع سيميائي، وتستمد فعاليتها من الروابط الموجودة بين تقسيم تنوعاتها ومختلف تطابقاتها الاجتماعية.□□

ثالثا: باعتبار البلاغتين تخصصا تداوليا فهما تستندان إلى مبدأ **التعاون** الذي يشكل أحد أهم الأسس. وهو المبدأ الذي يظهر ويشترط لفهم بلاغة المحسّنات، التي تتحدى حرفية اللغة، وتتجاوز الأنساق الكلامية العادية إلى أنساق قد تتسم أحيانا بالغموض، الذي يتطلب أن يكون هناك تعاونا بين الشركاء. وهذا المفهوم محوري أيضا في بلاغة الحجاج، فلأجل أن يكون هناك حجاج يجب أن يتوفر شرطان هما:

1 -يجب أن يكون هناك نزاع، ولكن، 2 -لا يجب أن يبدو هذا النزاع مستبدا لدرجة أن يرفض التفاعل، (وهذا الموقف معروف عند **م.مايير**). يمكننا تعريف هذه البلاغة بأنها تفاوضية، تعتمد على وسائل ترميزية، والمسافة بين الشركاء هي إذن تعاونية، ولا وجود لتبادل فعلي إلا في إطار وجود مسافة وتقارب في نفس الوقت بين المتشاركين. الحجاج هو إعادة ترتيب هذا التعارض، وبالتالي السعي لإيجاد **وساطة**. يبدو الحجاج بهذا نوعا من التوسط الخطابي، أما بالنسبة للصور فهي تسعى، كما سنرى، للجمع بين معنيين مختلفين

ومتجادلين، وبالتالي لجعلها **وسيطا.**[20] وبالتالي فكلاهما يركز اهتمامه في **تقنيات الوساطة**. يسعى الحجاج دائما لإعادة التفاوض حول التعارض، حيث نلاحظ أن المصطلحات هي في نفس الوقت اتصالية وانفصالية. والحجاج هو تحديد هذا التعارض، وبالتالي البحث عن **وساطة**، في حين أن المحسّنات تؤلف وتشرك معنيين مختلفين وبالتالي التوسط بينهما. وانطلاقا من هذا فهي ذات قيمة حجاجية. هذا الدور الحجاجي للمحسّن أصبح من المسلمات في التداولية (**سبيربر وويلسن، موشلر وروبول..**) وكثير من الفلاسفة (**راستيي، براندي، شاربونال..**).□ بر

ورابعا: كلا البلاغتين تنظر إلى أن إثبات القيم للملفوظ (اللغوي وغير اللغوي) تعود إلى تفاعل بين مستمع - دائما في مقام ما فردي أو جماعي - وملفوظ ما. وعموما سننقاد إذن وراء مصالحة وتقارب البلاغتين الجديدتين في إطار بلاغة عامة، أي في إطار مفهوم ثالث أكثر شمولا للبلاغة، التي تفهم هذه المرة كعلم للممارسة اللغوية، ممارسة لغوية وخاصة ممارسة معنوية تسمح بالتشكيل (البناء) والنقل والتحويل. بر بر وفي اعتقاد الذين يسمحون بتبني هذه الفكرة هناك أجزاء مشتركة تربط بين السيميائية والبلاغة، مثلما تشير إليه العديد من الإشكاليات التي أثيرت : **التعارض، التوسيط، التعاون، الموسوعية، التلفظ، التخاطبية، التبادل الاجتماعي.** كل سيميائية هي تشكيل (اجتماعي بالضرورة) لمادة، وتؤسس انطلاقا من هذا نظرية للمعرفة، أو أن البلاغة تلعب بالضرورة على **الموسوعة (إيكو، لاكوف وجونسون، ماير، براندي، مجموعة مو...).** بمعنى تشتغل على التمثيل الاجتماعي مهما كانت تشكلاته في النسق العلامي: فمن جهة تتأسس المحسّنات على هذه التمثيلات، ومن جهة أخرى فهي تؤثر عليها. تر بر

إن ما تعلنه البلاغة هو بالتحديد علم الاجتماع السيميائي، إذا كانت السيميائية تسعى من وراء دراسة السنن وتهمل ذخيرة (مخزون) القواعد المتحكمة في الاستعمال الاجتماعي، التداولي، تستثمر البلاغة تحديدا في هذه الأرضية. إنها تنظر إلى ما تجعله اللغة أداة للتبادل، كما تستعمله لخلق مسافة بين الفاعلين. وتلاحظ حيث تضع التلفظية الشركاء المتفاوضين والمسافة التي تفصلهم في نفس الوقت الذي تربط بينهم: إنها في نفس الوقت محل تعاون ومواجهة بين شركاء التبادل. إنها تركز على الانسجام الأساسي بين الشركاء وعلى ما يجعلها دائما في صميم التفاعل السيميائي، تحسب وتطور الاستراتيجيات. ولكي يكون هناك حجاج لابد من توفر شرطين: أ - يجب أن يكون هناك نزاع، ولكن (ب) أن لا يبدو النزاع غير قابل للتذليل لدرجة رفضه للتفاعل. تستطيع البلاغة إذن أن تتحدد كتفاوض عن المسافة السيميائية بين الشركاء.[24]

وأخيرا فالقول بمركزية مفهوم المحسّنات (المجازات) في البلاغة، وبأن المحسّنات تحظى بأهمية في البلاغة الحجاجية، هو أكبر دليل على التقارب بين البلاغتين، فإذا كانت الأولى معنية قبل كل شيء بالبنية اللغوية والمنطقية للمحسّنات، فإن الثانية معنية بأثر تلك المحسّنات حين تستعمل، وبالتالي لا مفر من أن تعد هذه المحسّنات إما حجاجية أو أسلوبية، وينظر إليها فقط في سياق تداولي أو كبنية تحول دلالي_ منطقي، وفي الحالين هي نفسها. وبالتالي فالبلاغتين تحظيان بنفس المفهوم، ولكن في سياقات متباينة وبأهداف متفاوتة.

5 -**المحسّن البياني: آلية من أربع خطوات:** يستعير **كليكنبورغ** مثالا شائعا في الحياة اليومية، ليبرز أن المحسّن يقوم على مبدأين اثنين هما: **التناظر والتعاون**، هذا المثال هو قول شاب متفائل معلقا على زواجه: "**تزوجت ملاكا**"، وإزاء هذا الملفوظ بإمكاننا تحديد أربع خطوات في إنتاج وفهم هذا المحسّن.

1 -الخطوة الأولى هي رصد التناظر في الملفوظ، حيث أن كل عنصر في الملفوظ يرتبط بالسياق اللغوي، الذي تفرضه العناصر التي تجاوره. وهذه العناصر تشير إلى توقعات ما أو تصبح هي نفسها توقعات، ويمكن لهذه التوقعات أن تكون صحيحة أو مخيبة بحسب العناصر التي تتألف منها. يمكن على سبيل المثال تخيل سياق لمحادثة مع هذا الشاب المتفائل حول السؤال السابق: هو يخبرنا عن (جزء من) أو عن كل حياته الزوجية الجديدة، مثل براعة زوجته ورقتها وجمالها.[سه بر]

2 -الخطوة الثانية هي معاينة متلقي الملفوظ عدم توافق موسوعي، بين المعنى الذي يقصده المتزوج - ينتظر المتلقي وصفا خاصا بكائن من لحم - مع الوصف الذي أنتج فعلا، والذي يحدد شيئا آخر مختلف تماما: كائن خارق، سماوي، يلعب في الواقع دور الرسول السماوي. وبالتالي يخيب وصف "الملاك" أفق انتظار المتلقي، خاصة وأن المحادثة لم تتخذ لحد الآن منعطفا نحو دروس اللاهوتية، أو محاضرة حول الأساطير، وبعيدة تماما عن هذا السياق. والملاحظ أن هناك لا توافق موسوعي بين معنى "التزوج" ووصفه، الذي فرضه الملفوظ والذي سنسميه من أجل هذا "درجة التلقي". ومثل هذا اللاتوافق يؤدي إلى تمزق التناظر، ويمكن تسميته بالتباين (لا تناظر).[شه بر]

3 -يتجاوز المتلقي هذه الملاحظة البسيطة حول اللاتوافق ممهدا بذلك للخطوة الثالثة، المتمثلة في إعادة تكوين درجة الفهم. يتعلق الأمر بعملية استنتاج موجهة للحفاظ على المبدأ العام للتعاون، والمتكلم قد ينتهك قواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التعاون التي وضعها **غرايس**(الكم، الكيف، العلاقة، والجهة)، والمخالفة هنا عادية لأننا إزاء محسّن دلالي(مجاز)، حيث تنتقل إفادة المخاطبة من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صحيح وغير حقيقي، فالمعاني المتناقلة ضمنية ومجازية.[له بر]

تحتوي هذه الخطوة نفسها على عمليتين فرعيتين متمايزتين جدا، لكنهما تتأسسان معا على امتلاكهما لما يجعل الملفوظات مطنبة، وبحثها عن سبل استمرار التعاون بين الشركاء.

أ - الخطوة الفرعية الأولى هي: رصد وتحديد درجة تلقي المحسّن، فما عاينا هو لا توافق بسيط بين العنصر "أ" (تزوج) والعنصر "ب" (ملاك) في الملفوظ، ولكن لا شيء يدل بأن العنصر غير الملائم في هذا الملفوظ هو" ب " بدلا من " أ " وهذا التشاكل في الملفوظ هو الذي يدلنا بدقة على العنصر الذي يجب أن نعتبره غير ملائم. وفي مثالنا التشاكل العام للملفوظ هو "إنساني". بطريقة يسهل بها التعرف على درجة الفهم حيث: الملاك هو الذي يشكل التباين (اللاتناظر). وفي سياق ميتولولوجي أو في النصوص الصوفية يكون "الملاك" مبررا، ويكون "تزوج" هي غير الملائمة، ولكن السياق الإنساني هنا هو الذي أبدع عن طريق التفاعل، ما يبرر جعل "تزوج" محور الملفوظ، وانطلاقا من السياق الإنساني نستنتج أن العنصر غير الملائم في الملفوظ هو "ملاك".

ب - العملية الفرعية الثانية هي: الإنتاج الفعلي لدرجة التصور، يقدم السياق "تزوج" وهذا يسمح بتقديم فرضية أن (ملاك) تحيل هنا إلى نوع من الكائنات الجسدية، وبأكثر دقة وتحديد هو "كائن إنساني"، فرضية واحدة هي المقبولة في حالتنا هذه هي أن "تزوجت" تلفظ من رجل ويقصد امرأة. نسمي هذا المعنم السياقي (سيميم) لدرجة التصور.[بر]

4 - الخطوة الرابعة هي موازاة درجة التلقي بدرجة التصور. وهذه الموازاة مركزية في المحسّنات البلاغية، تعمل بفضل إقامة علاقة جدلية بين درجة التلقي ودرجة التصور. ففي قولنا: "تزوجت ملاكا" نحدد المكونات الدلالية المتوافقة بين تلقي ملاك وتصوره، قصد إطلاقها على الثانية (الرقة، الحنان، الجمال، النقاء، الخير) بحيث أن درجة التلقي كاملة ليست فقط: "كائن

إنساني"، ولكن أيضا: "كائن إنساني حلو، رقيق، وجميل..."، وهذا ما يدفعنا للحديث عن درجة التصور حول "الكائن الإنساني" وهذا للإشارة إلى الخصوصية المؤقتة لوصفنا. نسمي درجة التلقي الكاملة المحتوى: "كائن إنساني رقيق، حنون، وجميل.." وهذا المحتوى يعمل كواسطة بين الفئتين المتميزتين المتمثلة في "ملاك" و"كائن إنساني".□ بر

وللتوضيح أكثر يمكننا التمييز بين خطوتين فرعيتين من هذه العملية التوسطية:

أ - فحص التوافقات المنطقية بين التلقي والتصور. المؤكد أن هناك نقاطا مشتركة بين "ملاك" و"كائن إنساني": هو "المظهر الإنساني" مثلا، ولكنه ليس الأساس المنطقي الذي يهمنا: ليس لدينا الكثير من نقاط التشابه بين الصورة التي نرسمها للملاك، والصورة التي نرسمها للإنسان، وبالكاد يمكننا الذهاب بعيدا: فقد أسهبنا في حديثنا عن جنس الملائكة..وأدركنا بأنه ليس عن تشابهما الجسدي يريد محدثنا لفت انتباهنا بل عن تشابهما المعنوي، خاصة وأن الموسوعة لا تمنحنا الكثير من الأوصاف الجسدية للملائكة سوى أنها كائنات نورانية، في حين تحفظ الموسوعة الكثير من الصفات المعنوية لهذه الكائنات، التي أسقط المتكلم بعض صفاتها على المشب (الكائن الانساني).

ب - الخطوة الفرعية الثانية: تسعى للتركيز على درجة تصور كل التمثيلات التي أدركناها. وهو ما نلمحه في مثالنا، فمتكلم ما قد يركز على سمة الإحسان، في حين أن متكلما آخر يفضل سمة النقاء أو الجمال...□ تر

6 -المحسّن والحجاج: يسمح لنا هذا الوصف بإبراز بعض الأدوار الحجاجية التي تلعبها المحسّنات، ومنها:

1 -**إبراز المحسّن لدور التعاون في التواصل:** يشكل التباين انتهاكا للقانون الموسوعي المشترك الذي يستند إليه التواصل، في حين أن إعادة تطويرها تسمح بالمحافظة على التعاون الذي يربط بين المتكلمين، فمن جهة ينتج المتلفظ انزياحا عن الموسوعة، لكنه يفترض أن المتلقي يتغلب على هذا الانزياح. ومن جهة أخرى يواجه المتلقي ملفوظا منزاحا، مراهنا على طبيعة مدلول هذا الملفوظ منتجا إعادة تأويل. وبالتالي فالعناصر الثلاثة التي حددتها البلاغة القديمة في الحجاج حاضرة إذن في الإجراء البياني، عندما نلمحه في تلفظه وليس فقط في بنيته: **اللوغوس** أو **العبارة**، بما أنه ككل معنى ضمني، يؤسس المحسّن لعملية استدلالية، ولا يمكن إنتاجه أو تلقيه مباشرة وبطريقة آلية، بل لابد من عملية عقلية للوصول إلى كنهه. وينحصر حضور **الباثوس** بما أنه يسلط على المتلقي قوة ما، تبدو من خلال مجموعة من ردود الأفعال، التي تثار في المتلقي نحو المحسّن. ويحضر **الايتوس** بما أنه موجود في مسار، حيث من الضروري على المتلفظ تحمل المسؤولية: الرغبة في التعاون يؤسس **للايتوس**، الذي يفترض بالضرورة من خلال وساطة **اللوغوس** ممثلة بالمحسّن في حد ذاته.[تر]

2- المحسّن كمجال للتضامن والتفاوض: يمثل إنتاج الكلام عموما والمحسّن على وجه الخصوص، وتشفير تكلفة سيميائية يتحملها كلا من المرسل والمتلقي معا، في نفس الوقت، وهذا الذي يجعل شركاء التبادل متضامنان، خاصة وأن مسؤولية إنتاج المعنى البلاغي تقسم على الطرفين معا، وكلاهما مسؤول عن الجزء الخاص به، إنتاج المحسّن من طرف المتكلم الذي يؤلف بين عناصر لغوية ذات مرجعيات متباينة (الإنسان م الملاك)، تستدعي الموسوعة وتنتهكها، وتنتج التباين بين عناصر اللغة، وهو ما يفترض تضامنا وتفاوضا حول الأدوار بين الشركاء ليحدث التفاعل والتواصل. إذا لم يكن المرسل قادرا على فرض معنى ما بدقة، لإعادة التقييم، وأكثر من ذلك فرض

اندماج المتلقي، فهو على الأقل مطالب – في وقت إدراك الانزياح - بتحمل مسؤولية التباين، ويشير للمتلقي بأن يتحمل هو الآخر مسؤولية إعادة التقييم، مهما كانت قبل الحفاظ على مبدأ التعاون، وهو الذي يقرر مجال الانزياح بحسب استجابته للملفوظ.

- **خلاصة**: لقد استطاعت البلاغة المعاصرة باتجاهيها، أو بالأحرى باتجاهاتها المختلفة، بما أن هناك بلاغات أخرى عديدة تمثل لاتجاهات أخرى، لكن يبقى التمييز الأكثر فعالية وقبولا في أوساط الباحثين، هو التمييز بين البلاغة الاقناعية **لبيرلمان وتيتيكا** والبلاغة الأسلوبية **لمجموعة مو**، وهذا لأسباب تاريخية في الغالب، نتيجة تراوح البلاغة القديمة بين الوظيفتين الحجاجية والجمالية، وهو ما أفرز الاتجاهين المذكورين. ورغم الاختلاف والبعد بين الاتجاهين، إلا أننا وجدنا باحثا بلاغيا مثل **ج.م.كليكنبورغ** الذي قرب كثيرا بين الوظيفتين الأسلوبية والاقناعية، وبالتالي قرب بين الاتجاهين، كما أسس هذا الباحث - بمعية المجموعة التي ينشط في إطارها، والتي تسنى لها أن تستمر مدة أكثر من نصف قرن من الزمن، وهو عمر طويل مقارنة بعمر المجموعات الأخرى - لبلاغة عامة فعلية، وهذا من خلال تطبيقاتها على اللغة الأدبية وغير الأدبية، في حين تنحصر بلاغة جماعة بروكسل في بلاغة الكلام، ذو الفعالية الاجتماعية وتستثني الأدبي. كما أن بلاغة مجموعة مو لا تنحصر في محسّنات الأسلوب الدلالية (أي المجازات) بل تنظر في مختلف المحسّنات المرتبطة بمستويات اللغة وبنيتها، وهذا ما يبدو من خلال تصنيفها للمحسّنات. عكس بلاغة **بيرلمان** التي تدرس فقط المحسّنات التي تهدف للإقناع، ولا تلتفت للمحسّنات التزيينية، وهي تشترط مسبقا الوظيفة الاقناعية للمحسّن لتدرسه، وهو ما جعلها بلاغة انتقائية وأحيانا إقصائية.

لا يتوقف تحليل **كليكنبورغ** للمحسّن في ذاته أي كلوغوس أو عبارة فقط، بل يتجاوز هذا لينظر في العلاقة بين الباتوس والايتوس، أي التفاعل بين المتكلم والمخاطب، والتأثير الذي يحدثه المتكلم في المخاطب من خلال العبارة التحسينية، باحثا عن أدوارها التداولية، لهذا نجده يتجاوز في تحليله مبدأ التناظر السيميائي، الذي يحدث في المحسّن -العبارة في ذاته، إلى مبدأ التعاون الذي يفرضه المحسّن بين المتكلم والمخاطب، حتى يحدث التفاعل، ويؤدي المحسّن وظيفته الحجاجية في إطار التداولي، ومثل هذا التحليل قرب كثيرا بين الوظيفة الأسلوبية للمحسّن ووظيفته الإقناعية.

-الإحالات:

1- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، ط1، دار رؤية، القاهرة، 2011، ص:34.

2 – Jolan Tadomanska-Gruszka , Rhétorique Des Figures Et Rhétorique Des Conflits Entre Stylistique Et Argumentation, Studia Romanica Posnaniesia , UAM , VOL.34, Poznan, 2007, P.43.

3– Marc Bonhomme, Les Figures clés du discours, Ed Seuil,1998.

- Marc Bonhomme, Linguistique de la métonymie, Peter Lang, 1987
- Marc Bonhomme et J .M. Adam, L'argumentation publicitaire, Nathan, 1997
- Marc Bonhomme, le problème des tropes dans la linguistique française de XXe siècle, in La lingüística francesa: situación y perspectivas a finales del siglo XX, J.F.Corcuera, M.Djian, A.Gaspar, éds; Zaragoza, p :101-109

– Marc Bonhomme, La rhétorique des figures :entre formalisme et énonciation, protée, revue internationale de théories et de pratiques sémiotiques, volume 38 numéro 1 , printemps 2010, Québec, Canada, p. 65-75

4- ينظر محمد مشبال وآخرون، البلاغة والخطاب، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014، ص:105.

5 – Marc Bonhomme, le problème des tropes dans la linguistique française de XXe siècle, p: 103

6− Marc Bonhomme, Les Figures clés du discours, p :13

7− ibid, p:13

8- ibid, p:13

9 - ibid, p:13

10 – دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص:235

11− Marc Bonhomme, Les Figures clés du discours, p :14

12− ibid, p :12

13- Christian Plantin, Les figures en situation argumentative, www. icar.univ lyon2.fr/membres/CPlantin/documents -

14 − Jean-Marie Klinkenberg, L'argumentation dans la figure, http://www.info-metaphore.com

15 − J.M.Klinkenberg, Précis de sémiotique générale, 1pub, Point Essais, 1996, France, p: 340-341

16 − Jean-Marie Klinkenberg, L'argumentation dans la figure, p.02

17 − ibid, p.02

18 − j.m.klinkenburg, le rhétorique dans le sémiotique: le composant créative de système, in figures de la figure: sémiotique et rhétorique générale, Ed Pulim, France 2008, p: 37

19 − ibid, p.37

20 − ibid, p.37

21 − ibid, p.37

22− ibid, p.37

23 − ibid, p.37

24 − ibid, p.39

25 − J.M.Klinkenberg, Précis de sémiotique générale, p: 344-345

26 − Jean-Marie Klinkenberg, L'argumentation dans la figure, http://www.info-metaphore.com

[27] – ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب،1998، ص: 238–239.

28– Jean-Marie Klinkenberg, L'argumentation dans la figure.

29– ibid.

30 –J.M.Klinkenberg, Précis de sémiotique générale, p :346

31 - Jean-Marie Klinkenberg, L'argumentation dans la figure.